بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث القرآن عن القرى

٢٨ / ٧ / ١٤٤٥ هـ

الحمد الله أما بعد:

خلق الله الخلق، وجعل لهم عادات وتقاليد، ومن أبرز ذلك أنهم لا يسكنون فرادى، أي: لا يعتزل كلُّ إنسان في مكان بعيدٍ عن الآخر، بل إذا سكنوا فإنهم يتجمعون، ويتضامُّون، ويتقاطرون على قطر واحد، فيُسْلي بعضُهم بعضًا، ويساعد الآحادُ الأفراد، وهذا المكان الذي يتجمعون فيه يسمى (القرية)، وجمعها القرى، واستعمل القرآن القرية والمدينة على معنى واحد، ولم يبعث الله -في هذه الأمة- نبيًا إلى كل قرية، بل بعث لكل القرى نبيًا واحدًا هو نبينا محمد ﷺ وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ الفرقان: ٥١، ولكنا لم نفعل، بل أرسلناك وحدك، " وحمّلناك ثِقَل النذارةِ جميعِها، لتستوجب بصبرك أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة"[١].

وحديث اليوم عن القرى وذكرها في بعض مواطن القرآن.

---

(١) (٦/٩٠) بتصرف يسير.

قرية السلام وقرى الخوف.

كل قرية تعيش في سلام إذا هي أخذت الإسلام وصدقت بأنبياء الله الكرام، فأنبياء الله سِلْمٌ على أهل القرى المؤمنة، وليسوا بمفسدين لها، ومن ذكاء بلقيس أنْ قالت تختبر نبوة سليمان: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل، "فإن قبل الهدية فهو مَلِك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه"(١)، فالقرية التي تعيش في رعاية الإسلام تُغدق عليها البركات، وتُدرُّ عليها الخيرات: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ٩٦، وانتكاسة القرية عن فطرتها، وإيمانها، زوالٌ لنعيمها، وتردٍ في حالتها: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: ١١٢، وهذه القرية التي ضُربت مثلاً هي مكة أيامَ قريش وكفرِها، ومع جوار بيت الله وعمارتِهم المسجد الحرام إلا أنهم بكفرهم أصابهم القحط فخافوا بعد الأمن،

---

(١) تفسير ابن كثير عن غير واحد من السلف (٦/١٩٠).

وجاعوا بعد الرغد، فكيف بغيرها من القرى.

ومن خوف أهل القرى المسرفة أن جعل الله الجُبْن في قلوبهم، والرعب في أفئدتهم، فحصنوا قراهم، وسكن الرعب معهم في سككهم وبيوتهم، كما ضرب الله الذلة والمسكنة على قرى اليهود فقال الله: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ الحشر: ١٤.

أم القرى.

إن القرية التي يؤمها الخلق شرقًا وغربًا منذ أن خلق الله آدم، هي قرية القرى، وأم المسافرين، هي أم القرى، التي قال الله عنها في كتابه: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الأنعام: ٩٢ ، إنها مكة.

وسميت أمَّ القرى؛ لأن الأرض دُحِيت منها، ومعنى ذلك: أن أول بقعة وضعت في الأرض هي البقعة التي هي موضعُ البيت، ثم مدت من تحت هذه البقة جميعُ الأرض(١).

وسميت أم القرى: لأنها مركز القارات السبع، وأن اليابسة موزعةٌ حول مكة توزيعًا منتظمًا على سطح الأرض، قال القرطبي

---

(١) جاء في ذلك أخبار عن السلف، كقول عبد الله بن عمرو: "**وكانت الأرض تحته كأنها حشفة، فدحيت الأرض من تحته**"، رواه الطبري (٢٠/٦) بسند رواته ثقات.

في تفسير قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾البقرة: ١٤٣:"وكما أن الكعبة وَسَط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا"(١).

"وسميت مكة أم القرى؛ لأنها أقدمُ القرى وأشهرُها وما تَقَرَّت(واجتمعت) القرى في بلاد العرب إلا بعدها"(٢).

وهي الأرض التي أمَّها الأنبياء، وقصدها الرسل، قال ﷺ:"صلى في مسجد الخَيْف سبعون نبيًا"(٣).

قرية تأكل القرى.

ومن أقوى القرى في التاريخ الإسلامي، دينيًا، وعسكريًا، وأمنًا غذائيًا واجتماعيًا هي القرية التي تأكل القرى، وهذا هو وصف النبي ﷺ لها، فقد قال ﷺ: " أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"(٤)، فالقرية التي تأكل القرى هي مدينة رسول الله ﷺ، ومعنى أكلِها للقرى: أنها تغلب القرى وتنتصر عليها، فكل جيوش الإسلام وقته ﷺ انطلقت منها حتى غلبت كلَّ بلاد الجزيرة

---

(١) تفسير القرطبي (١٥٣/٢).

(٢) تفسير الطاهر ابن عاشور (٣٧٢/٧).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (١١٢٧).

(٤) رواه البخاري.

العربية، ولا زالت هي عاصمة الخلافة وقت أبي بكر وعمر وعثمان، والتي امتد أكلُها للقرى حتى وصلت بلاد فارس والروم.

وقد كره النبي ﷺ أن تُسمى يثرب، لما في هذا الاسم من معنى التثريب وهو المؤاخذة والعقاب، وإنما سماها يثرب المنافقون كما قال الله تعالى عن طائفة من المنافقين: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾الأحزاب: ١٣.

لكن اسمها المدينة بـ (أل) التعريف: أي المدينة الكاملة على الإطلاق، والتي تستحق الإقامة بها، قال ﷺ:"المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون"(١).

قرية النمل.

إن أفضل القرى هي القرى المسبحة لله، والطائعة في سبيل رضاه، فحق هذه القرى على البشرية أن تعيش في سلام، وألا تذوق الضيم والألم، قال ﷺ: "قرصت نملةٌ نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل، فأحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح"(٢)، والنمل له قرى أمثال قرى البشر، بل على

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

وفقِ مقاييسَ معماريةٍ في منتهى الدقة والإتقان، قال تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾الأنعام: ٣٨، وإذْ وصفت تجمعات النمل بالقرية، فإنها القرية التي يكون فيها الطعام والمؤن والسكن، كما أن قرى النمل قرى صالحةٌ مسبحةٌ، كما أخبر الله عن مخلوقاته:﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ الإسراء: ٤٤، بل قراهم جاءت على منتهى التناصح والتعاون والحراسة والأمن، قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾

أقول ما تسمعون...

الخطبة الثانية: الحمد لله...

المكر في القرى.

إن القرى هي محل اجتماع الناس، ومحل اختلاف ألوانهم ودواخلهم، فترى فيهم الصالح والطالح، الشريف والوضيع، العالم والجاهل، لكنَّ المقطوعَ به أن كلَّ قرية لا تخلو من مجرمين فيها، يبغون فيه الفساد، قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ الأنعام: ١٢٣، فكم مكر المجرمون في الاستيلاء على

ممتلكات الناس ومقدراتهم، وكم مكروا في إفساد المال العام، وكم مكروا في إحلال الظلم مكان العدل، والفسادِ مكان النزاهة، وكل مكرِ ذلك عائدٌ عليهم ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾فاطر: ٤٣، فجانب المجرمين، وكن مع عبادِ الله المصلحين.

قرية البخلاء.

وإن من أَلْأَمِ صفات القرية أن يجتمع أهلها على البخل، وترك المعونة، والانكفاف على بعضهم، قال قتادة: "شر القرى التي لا تضيف الضيف"(١). وقد وصف الله قريةً جاوزها موسى مع الخضر، عندما طلبوا منهم الطعام فبخِلوا وظنوا وشحوا، فقال الله في تخليد ذكرى هذه القرية المشينة:﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾الكهف: ٧٧، وقد وصف النبي ﷺ أهل هذه القرية بأنهم كانوا لئامًا، أي: بخلاء(٢)، وقال أهل التفسير أن موسى والخضر طافوا على مجالس هذه القرية، وكلُّهم اتفقوا على البخل واللؤم، ورد موسى والخضر، فهي أبخل قرية وأبعدها عن السماء(٣).

---

(١) تفسير البغوي (٣/٢٠٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/١١٩).

(٣) **انظر**: تفسير ابن عطية (٣/٥٣٣).

هذا بعض حديث القرآن عن القرى، فكم قرية في زماننا استحق أهلها الثناء، وكم قرية عراها الألم والظمأ، وكم قرية غابت في غياهب الفسق والهوى، فقرُبَت من الهلاك والشقاء، ولنعلم أن القرية هي كل واحد منا، فصلاح الفرد صلاح لكل القرية، وفساد الفرد بداية انتشار العفن والخراب، وقلةِ شكر العزيز الوهاب، فإذا حل العقاب هُجرت المساكن والأبواب ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص: ٥٨.

فاللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر واحم حوزة الدين، اللهم وفق ولي أمرنا لكل ما تحبه وترضاه، اللهم واجعله ذخراً للإسلام والمسلمين، اللهم احم بلادنا، وانصر جندنا، وأذل أعداءنا، اللهم نج المستضعفين في غزة، اللهم اشدد وطأتك على يهود المعتدين، اللهم املاء بيوتهم وقبورهم نارًا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد